موقع الشريعة الحنيفية وبعض حكمة ما شرع الله لرسوله من مباينة الكفار ومخالفتهم في عامة
أمورهم لتكون المخالفة أحسم لمادة الشرك وأبعد عن الوقوع فيما وقع فيه الناس واعلم انه لو لم تكن
موافقتهم قد افضت الى هذه القبائح لكان علمنا بها لاطلاع عليه واستدلالنا بأصول الشريعة
يوجب النهي عن هذه الذريعة فكيف وقد راينا من المنكرات التي افضت اليها المشابهة ما قد يوجب
الخروج من الاسلام بالكلية وسر هذا الوجه ان المشابهة تفضي الى كفر او معصية غالبا او تفضي
اليهما في الجملة وليس في هذا المفضي مصلحة وما افضى الى ذلك كان محرما فالمشابهة محرمة والمقدمة
الثانية لا ريب فيها فان استقراء الشريعة في مواردها ومصادرها دال على ان ما افضى الى الكفر
غالبا حرم وما افضى اليه على وجه خفي حرم وما افضى اليه في الجملة ولا حاجة تدعو اليه حرم كما قد
تكلمنا على قاعدة الذرائع في غير هذا الكتاب والمقدمة الاولى قد شهد بها الواقع شهادة
لا تخفى على بصير ولا اعمى فان الافضاء امر طبيعي قد اعتبره الشارع في عامة الذرائع
التي سدها كما قد ذكرنا من الشواهد على ذلك نحوا من ثلثين اصلا منصوصة او مجمعا عليها
في كتاب ابطال التحليل الوجه الرابع ان الاعياد والمواسم في الجملة لها منفعة عظيمة
في دين الخلق ودنياهم كانتفاعهم بالصلاة والزكاة والصيام والحج ولهذا جاءت بها كل شريعة
كما قال تعالى ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام وقال تعالى لكل
امة جعلنا منسكا هم ناسكوه ثم ان الله شرع على لسان خاتم النبيين من الاعمال ما فيه صلاح الخلق
على اتم الوجوه وهو الكمال المذكور في قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ولهذا
انزل الله هذه الاية في اعظم اعياد الامة الحنيفية فانه لا عيد في النوع اعظم من العيد
الذي يجتمع فيه المكان والزمان وهو عيد النحر ولا عين من اعيان هذا النوع اعظم من يوم كان
قد اقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامة المسلمين وقد نفى الله تعالى الكفر واهله والشرايع
هي غذا القلوب وقوتها كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ويروى مرفوعا ان كل آدب يحب ان
توتى مادبته وان مادبة الله هي القران ومن شان الجسد اذا كان جايعا فاخذ من طعام حاجته
استغنى عن طعام اخر حتى لا ياكله ان اكل منه الا بكراهة وتجشم وربما ضره اكله او لم ينتفع به
ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه فالعبد اذا اخذ من غير الاعمال المشروعة بعض حاجته
قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره بخلاف من صرف نهمته وهمته
الى المشروع فانه تعظم محبته له ومنفعته به ويتم دينه ويكمل اسلامه ولهذا تجد من اكثر
من سماع القصايد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القران حتى ربما كرهه ومن اكثر من السفر
الى زيارات المشاهد ونحوها لا يبقى لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب
من وسعته

من وسعته السنة ومن ادمن على اخذ الحكمة والاداب من كلام حكماء فارس والروم لا يبقى لحكمة
الاسلام وادابه في قلبه ذاك الموقع ومن ادمن قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الانبياء
وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام ونظاير هذا كثيرة ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم ما ابتدع قوم بدعة الا نزع الله عنهم من السنة مثلها رواه الامام احمد وهذا امر
يجده من نفسه من نظر في حاله من العلماء والعباد والامراء والعامة ولهذا عظمت الشريعة النكير
على من احدث البدع وكرهتها لان البدع لو خرج الرجل منها كفافا لا له ولا عليه لكان الامر خفيفا
بل لا بد ان يوجب له فسادا منه منفعة الشريعة في حقه اذ القلب لا يتسع للعوض والمعوض
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في العيدين الجاهليين ان الله قد ابدلكم بهما يومين خيرا منهما
فيبقى اغتذاء قلبه من هذه الاعمال المبتدعة مانعا من الاغتذاء او من كمال الاغتذاء بتلك
الاعمال الصالحة النافعة الشرعية فيفسد عليه حاله من حيث لا يشعر كما يفسد جسد المغتذي بالاغذية
الخبيثة من حيث لا يشعر وبهذا يتبين لك بعض ضرر البدع اذا تبين هذا فلا يخفى ما جعل الله
في القلوب من التشوق الى العيد والسرور به والاهتمام بامره اتفاقا واجتماعا وراحة ولذة
وسرورا وكل ذلك يوجب تعظيمه لتعلق الاغراض به فلهذا جاءت الشريعة باعلان ذكر الله تعالى
فيه حتى جعل فيه من التكبير في صلاته وخطبته وغير ذلك ما ليس في ساير الصلوات واقامة من تعظيمه
وتنزيل الرحمة فيه خصوصا العيد الاكبر ما فيه صلاح الخلق كما دل عليه قوله تعالى واذن في الناس
بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فصار
على ما وضع على النفوس فيه من العادات الطبيعية عونا على انتفاعها بما خص به من العبادات الشرعية
فاذا اعطيت النفوس في غير ذلك اليوم حظها او بعضه الذي يكون في عيد الله فترت عن الرغبة في
عيد الله وزال ما كان له عندها من المحبة والتعظيم فنقص بسبب ذلك تاثير العمل الصالح فيه فخسرت
النفوس خسرانا مبينا واقل الدرجات انك لو فرضت رجلين احدهما قد اجتمع اهتمامه بامر العيد
على المشروع والاخر مهتم بهذا فانك بالضرورة تجد المتجرد للمشروع اعظم اهتماما به من المشترك
بينه وبين غيره ومن لم يدرك هذا فلغفلته او اعراضه وهذا امر يعرفه من يعرف بعض اسرار
الشرايع واما الاحساس بفتور الرغبة فيجده كل احد فانا نجد الرجل اذا كسى اولاده او وسع
عليهم في بعض الاعياد المسخوطة فلا بد ان ينقص حرمة العيد المرضي من قلوبهم حتى لو قيل بل
في القلب ما يسع هذين قيل لو تجردت لاحدهما لكان الكمل الوجه الخامس ان مشابهتهم
في بعض اعيادهم يوجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل خصوصا اذا كانوا مقهورين تحت